

لم أنس موعد الجمعة، فبعد الصلاة مررت على رقية وهنية ورافقتهما إلى دار عبد الصمد (بساحة مولاي المهدي)، رحبت بنا زوجته، وسلم علينا إبراهيم، وحضرت أختي السعدية وزوجها، وحضر أيضا كمال وزوجته والصغيرة نعيمة، وغاب نجيب كما كان منتظرا، في حين اعتذرت فاطمة متعللة بضيق الوقت الإداري ونفاهة محمود، وأخذنا الحديث قبل الغداء وبعده، الكسكس بالدجاج والسمن والزبيب والبصل. أما أنا فقد اكتفيت بالخضر والفواكه. وجرنا الكلام إلى عتاقة المدينة موضوعنا الأزلي، فقال كمال متأسفا: «تعبيد الدروب القديمة بالرمل والإسمنت بدل الأحجار الصغيرة المغروسة أسهم في تشويه سحر المدينة...»، وعاكسه عبد الصمد: «السكان تكاثروا والحياة الاجتماعية ازدادت تعقدا، وربما لذلك أضحى التبليط الإسمنتي عمليا أكثر من الحجارة...»، ورد كمال من جديد: «أنا أتكلم من المنظورين المعماري والعملي في وقت واحد، الأحجار المغروسة لن تعوق الإصلاحات في حال إصابة المرافق الأساسية للمدينة، الواد الحار وأنايب المياه وقواديس ماء السكوندو...، كل ذلك يمكن إصلاحه مع وجود الحجارة...» وقلت من موقع المسؤولية التي أكتوي بنيرانها: «أنا من أصحاب الإبقاء على كل المعالم الأثرية في وضعها القديم...، الأقواس والسقايات والطرق الحجرية وقواديس السكوندو...، وإذا كان ثمة ضرورة للإصلاح فلا بد أن تنجز من أجلها دراسات دقيقة ومناسبة على أساس حفظ المعالم كما هي...، وإلا ما أهمية هندسة الطرق وترميم الآثار إن لم تجمع الحسنيين...؟»، ورافقتني كمال، لكنه أردف: «المشكلة أن الناس ليسوا كلهم على رأي واحد، هناك نقص في درجة الوعي إن لم أقل بالجهل، تصوروا أنني ركبت في المدة الأخيرة سيارة أجرة ورحنا نخوض أنا والسائق الشاب في مسألة الاكتظاظ، وضرورة توسيع الطرق، فإذا به يتحمس لفكرة فتح طريق فسيح وسط المدينة العتيقة يفضي إلى باب القلعة، وعندما استغربت هذه الفكرة وقلت للسائق: «إن الأمر يتعلق بآثار قيمة وفريدة من نوعها في العالم يحسب عمرها بمئات السنين، وأن اليونسكو اعتبرتها تراثا إنسانيا، لم يبال بكلامي، واكتشفت أن الجيل الجديد لا يملك أي معلومات عن مدينته، ولا يقدر أهميتها...»، ثم عاودني الحنين إلى نقطة البداية، قلت متحسرا: «أسفي على الحجارة التي كانت مرصوصة بعضها إلى بعض في انتظام جمالي مدروس، حجارة الجانب الأيمن من الطريق ثم حجارة الجانب الأيسر... مكورة الرأس... رمادية... ملساء... متلاحمة... وفي الوسط أحجار مغروسة في خطوط طويلة قد يستدل المارة بعددها ورموزها لمعرفة إن كان الطريق يفضي أو ينتهي إلى مأزق... أسفي على الأبواب العتيقة برموزها الأندلسية ومساميرها المحدودة، ودققاتها الحديدية المتقنة الصنع... لقد غدت تقتلع وتباع أو تكسر من غير أن تشفع لها قرونها الطويلة...»، ولم يقابل عبد الصمد التحسر بالتحسر وإنما مضى يردد أفكاره المحفوظة لدينا: «إذا كنتم من أصحاب الإبقاء على الآثار كما هي فأنا معكم، ولكن لا بد أن تبحثوا لنا عن حلول عملية لترويج الصناعة التقليدية والإسهام في نقلها وإيصالها إلى الناس وإلا سنحكم عليها بالموت، المدينة كبرت، والإقبال خجول، والمرافق ضيقة، إنكم لا تقدرון مدى العذاب الذي نقاسيه في كل مرة نتلقى فيها بضاعة أو طلبا خارجيا: فسيارات الهوندا لا تستطيع الوصول إلى الخرازين، وإنما تتوقف قريبا من باب المقابر فنضطر إلى حمل البضاعة بالعربات اليدوية من البزار إلى الحدود الخارجية للمدينة...».

محمد أنقار، «المصري» منشورات الزمن (روايات الزمن)، العدد 9، (2004) ص: 137 - 138 (بتصرف).

I - عتبة القراءة:

1 - ملاحظة مؤشرات النص الخارجية:

أ - مجال النص:

النص ينتمي إلى المجال السكاني.

ب - مصدر النص:

النص مقتطف من رواية «المصري» للكاتب والأديب المغربي محمد أنقار.

ج - نوعية النص:

نص سردي ذو طابع تحسي، يطرح أبعادا تاريخية واقتصادية.

د - العنوان (نحن والمعالم الأثرية):

✓ تركيبيا: يتكون عنوان النص من أربع كلمات تكون فيما بينها مركبين اثنين: الأول عطف (نحن والمعالم) والثاني وصفي (المعالم الأثرية).

✓ معجميا: ينتمي العنوان إلى المجال السكاني.

✓ دلاليا: يدل العنوان على علاقة بين جماعة المتكلمين (نحن) والمعالم الأثرية، هذه العلاقة التي يفترض فيها أن تكون علاقة إيجابية تبني على أساس من التقدير والحفاظ على المدن التي تتوفر على هذه المعالم الأثرية بالنظر إلى ما تمثله من تراث إنساني وحضاري شديد الارتباط بالذاكرة التاريخية لهذه المدن.

هـ - الصورة المرفقة:

تمثل الصورة نماذج من البنايات الحديثة التي شيّدت بمحاذاة بعض المعالم الأثرية المتمثلة في سور عتيق لإحدى المدن المغربية العتيقة، واللافت للانتباه أن البنايات الحديثة تشغل تقريبا ثلاثة أضعاف السور العتيق الذي يظهر جزء صغير منه فقط على يمين الصورة، وفي هذا إشارة إلى تأثير البنايات الحديثة في المعالم الأثرية، فعوض ترميمها وإصلاحها يتم هدمها وتعويضها ببنايات حديثة، وبناء على ما سبق نجد أن العبارة الأولى من العنوان (نحن) تنسجم (على صغرها) مع الجزء الأكبر من الصورة (البنايات الحديثة) بينما تنسجم العبارة الثانية منه (المعالم الأثرية) (على كبرها) مع الجزء الأصغر من الصورة (السور العتيق).

2 - بناء فرضية القراءة:

بناء على القراءة الأولية للنص نفترض أن موضوعه يتناول المعالم الأثرية باعتبارها تراثا إنسانيا.

II - القراءة التوجيهية:

1 - الإيضاح اللغوي:

- نقاهة: تماثل للشفاء.
- أزلي: القديم الذي لا أول له.
- تعوق: تعرقل.
- ماء السوكوندو: شبكة تقليدية لتوزيع الماء بتطوان منذ أربعة قرون.
- لم يبالي: لم يكثرث.
- ملساء: ناعمة ولينة.

○ أردف: أتبع وأضاف.

2 - الفكرة المحورية للنص:

دعوة إنسانية يوجهها الكاتب قصد إنقاذ المعالم الأثرية واعتبارها تراثا إنسانيا وجب الحفاظ عليه.

III - القراءة التحليلية للنص:

1 - الأفكار الأساسية:

- ✓ اجتماع أفراد العائلة يوم الجمعة عند الغذاء بدار عبد الصمد.
- ✓ حوار بين أفراد العائلة حول عتاقة المدينة وبعض المشاكل التي تعاني منها بعض المدن العتيقة بالمغرب.
- ✓ اختلاف آرائهم وموقفهم بين مؤيد للمعالم الأثرية بمدينتهم ومعارض لها.

2 - تحليل موقف شخصيات النص من المعالم الأثرية:

المواقف	صاحبه	مضمونه	مبدراته
موقف مؤيد.	- السارد. - كمال.	يجب الحفاظ على المعالم الأثرية، وإن كان هناك إصلاح أو ترميم فلا ينبغي أن يلحق أضرارا بهذه المعالم.	- تعبيد الدروب القديمة بالرمل والإسمنت بدل الأحجار الصغيرة يسهم في تشويه سحر المدينة. - الأحجار المغروسة لن تعوق الإصلاحات إذا تضررت المرافق الأساسية للمدينة ... - هذه المعالم تعتبر آثارا قيمة وفريدة من نوعها في العالم. - اليونسكو اعتبرتها تراثا إنسانيا.
موقف معارض	- عبد الصمد - سائق سيارة الأجرة	ليس من الضروري الحفاظ على المعالم الأثرية، والضروري هو توسيع أزقة المدينة وفتح طرقاتها.	- التبليط الإسمنتي أصبح عمليا أكثر بعد تكاثر السكان وتعقد الحياة الاجتماعية. - المدينة كبرت والمرافق ضيقة. - معاناة التجار في نقل البضائع بسبب ضيق الأزقة.

3 - الحقل الدلالية:

ما يدل على المدينة القديمة	ما يدل على المدينة الحديثة
الأحجار الصغيرة المغروسة - فوايس ماء السكوندو - المعالم الأثرية - الأقواس السقايات - الطرق الحجرية - الأبواب العتيقة - الحجارة التي كانت مرصوفة - مساميرها المحدودة - دقاتها الحديدية ...	الرمل والإسمنت - التبليط الإسمنتي - الواد الحار - أنابيب المياه - الاكتظاظ - توسيع الطرق - طريق فسيح ...

الدلالة:

هيمنة الألفاظ والعبارات الدالة على المدينة القديمة يدل على أهمية هذه المدن بمعالمها الأثرية التي يجب الحفاظ عليها.

4 - ملامح الخطاب الحجاجي داخل النص:

الفكرة التي يرفضها السارد	الحجج والبراهين	الفكرة المقترحة
تدمير المعالم الأثرية.	(أنظر المبررات في الجدول السابق)	الحفاظ على المعالم الأثرية.

VI - التركيب والتقييم:

1 - التركيب:

يستعرض النص من خلال الحوار الدائر بين شخصياته بعض مشاكل المدن العتيقة واختلاف الآراء والمواقف حولها، فبعض الناس يرون ضرورة حماية هذه المدن من التدمير الذي يطال معالمها الأثرية وحجتهم في ذلك أن هذه المعالم تعتبر تراثا إنسانيا ورمزا حضاريا يجب المحافظة عليه، والبعض الآخر يرى أن سكان المدن قد تكاثروا وأن الحياة الاجتماعية صارت معقدة أكثر من أي وقت مضى، لذلك يرون أن الإبقاء على هذه المعالم التاريخية يعرقل نشاط المدينة ويحول دون تطورها.

2 - التقييم:

يتضمن النص قيمة توجيهية تتجلى في التحسيس بأهمية المعالم الأثرية داخل المدن العتيقة وضرورة المحافظة عليها.